تعزية

في الأستاذة المقتدرة، والمرشدة المصطبرة:

لطيفة بوكور؛

التي تعد مثالا أعلى في علمها وعملها، ونموذجا أسمى في حسن خلقها، وامتداد نفعها

إدريس ابن الضاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان المتلازمان على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛

إن مفتاح التعرف على الله تعالى إعظام حق ذاته بالنظر إلى خواص صفاته، ومداليل معاني حسنى أ سمائه، ثم لحاظ ضروب آلائه، ثم الاجتهاد في شكر نعمائه بفعل محابه والمسارعة في مرضاته، ثم استحضار جزائه ووعده وأنواع وعيده، ثم الاستسلام لطلاقة وَلايته، والاطمئنان لأفراد اختياره والثقة في قضائه وقدره وما أحكم من مشيئته وحكمه، باعتقاد الفضل في نافذ اختياره والفضيلة في تدبيره وخاصة إرادته، وإن ضاقت بها النفوس أحيانا فوتا لمطلوب، أو فقدا لحبيب وغيابا لأغلى محبوب.

وهذه المنطلقات الاعتقادية، والمسلمات الإيمانية، هي التي تثبت معنى الإيمان بالقدر من جهة الاعتقاد والعلم والعمل، وهي التي ترسخه في القلب ترسيخا يحصل به اليقين المتعلق بسلطة الله تعالى في الاجتباء، وإرادته في الاصطفاء، الذي قال فيه سبحانه: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ [القصص: 68]، التي تجعل العبد تحت هذه الإرادة التي تقهر على مرادها، ولا تغلب على أمرها، دون أن تجد مردا لها منه، أو ملجئا صارفا عنه، من أي جهة تكون، أومن أي قدرة تشاء وتحول؛ كيف والله تعالى محيط بكل شيء، ومالك لكل شيء، ومتصرف بإرادته الغالبة في كل شيء، ومن ذا الذي يجرؤ على الاعتراض على اختياره أو التنصل من قدره وقضائه الذي جاء على خلاف شهوته ومراده، ومتى جاز ذلك في معتقد المؤمن العالم بحقيقة

الألوهية، والمدرك لمقتضى الربوبية ، والمستحضـر لقول الله تعالى: ﴿لله الامر من قبل ومن بعد﴾ [الروم: 4]؛ ثم كيف واليقين حاصل أن في الابتلاء والامتحان بالأقدار نعم كثيرة تختفي وراء فقد بعض المحبوبات، وفَوت حظ من المطلوبات التي تتطلع النفوس إليها في غمرة سـكرة اسـتجلاب اللذائذ، ودفع المكاره وعويص الشـدائد، وذسيان ا ستح صال الذكرى من فعل الله في الخلق المب صر بحقيقة وجوده، واللافت إلى سـعة ملكه، والموقظ إلى لحاظ بعض مجالات رحمته، والمنبه إلى مدارج تربيته للخلق في أفق أن يعرفوا لم خلقوا؟ وإلى أين يصيرون؟

وهذا الإدراك الخفي لنعم الله التي يضمرها الابتلاء، يورث الذلة لله، والتسليم لحكمه، والرضـا باختياره، والاطمئنان إلى عظم جزائه، الذي يتضـمن في أبعاده الغيبية خير الدنيا والآخرة لمن يسـتبصـر وينظر بإيمانه إلى بواطن الأمور، والتصـديق بجريان الحكم على العبد وفق تقدير الله تعالى، من شروط الإيمان المعلومة من الدين بال ضرورة؛ لقول النبي صلى الله عليه و سلم: **(لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه)**.

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم تضمين الخير في الأحوال في الرضا والصبر على الاختيار المخالف لهوى النفس ومتمنياتها في قوله: **(عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصـابته سراء شـكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له)**.

وقوله فيما رواه وهب بن خالد الحمصيـ عن ابن الديلمي قال : أتيت أُبَي بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشـيء لعل الله جل ثناؤه أن يذهبه من قلبي فقال : **لو أن الله جل ثناؤه عذب أهل سماواتـه وأهل أر ضه**

عذبهم و هو غير ظالم لهم، و لو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما تقبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، و لو مت على غير هذا لدخلت النار، قال: ثم لقيت ابن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك.

ومن أيقن بحكمة الله الغالبة، وأقر في نفسه بعجزه عن فهم أسرارها الغائبة في ظواهر التصرفات المقلقة، والتفاعلات المنضية ؛ علم أن الخير كله في الذي قضى بحكمته، وأن العبرة بالموقف المستسلم من فعله وتقديره، وحسن الأمل في عواقب الأمور التي يتفرد الله تعالى بامتلاك نواصيها، والهيمنة على متقلباتها، لا يد للإنسان فيها، لعدم اختصاصه دون الله بالتدبير ، ولعجزه عن التفلت من جاري التقدير، كما يبن ذلك قول يحي بن يعمر: قلت لابن عمر: إن عندنا رجالا يزعمون أن الأمر بأيديهم، فإن شاءوا عملوا، وإن شاءوا لم يعملوا، فقال: أخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني برآء، ثم قال: جاء جبريل صلى الله عليه وسلم إلى النبي صلى الله عليه و سلم، فقال: يا محمد ما الإ سلام؟ فقال: «تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: «نعم» قال: صدقت، قال: فما الإحسان؟ قال: «تخشى الله تعالى كأنك تراه، فإن لا تك تراه فإنه يراك» قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال: «نعم» قال: صدقت. قال: فما الإيمان؟ قال: «تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث من بعد الموت، والجنة، والنار، والقدر كله» ، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: «نعم» . قال: صدقت.

ومقتضى هذا الاعتقاد الذي يُسَكّن قلب المحتسب المؤمن، وتسكن نفسه به وإليه سكون العبد الراضي الموقن، هو الذي يهون هذا المصاب الجلل الذي عرض بإذن مالك الملك، المتحكم في العطاء والهُلْك، فا صطفى أختنا الفا ضلة الأ ستاذة المؤثرة، والمفقهة المثمرة، لطيفة بوكور ـــ رحمها الله ـــ، التي كانت تعد من أنشط المرشـــدات، وتحســـب في أمتع الواعظات، وتكتب في أفقه المبلغات، وتدرج في أحظى المتكلمات في الدين المكرمات بنعمة القبول خلقا وخلقا وعطاء.

إن هذا القَدَرَ الرحيم الذي أخذ من أهلها، أعز ما عندهم، واجتبى أغلى ما يُؤنِس جمعهم، وانتقى أشرف ما يربط قلبهم؛ ما أ خذه ســبحا نه، إلا ليمتحن إيمانهم، ويفتن يقينهم، ويختبر ا ستسلامهم، ويبلو أخبارهم، ويرفع أقدارهم، ويعلي شــأنهم، ويمحو ذنبهم، ويســمي مقامهم؛ ثم ليبوئهم منازل الصــابرين، ويكرمهم بمقام المستسلمين المحتسبين؛ ثم لينزل الأ ستاذة الفا ضلة لطيفة بكور، منازل المقربين، لما خصــها به من العلم ا لنافع، والعمل الصــالح، والتواضــع ا لماتع، والاحتســاب الرافع، ثم لما ميزها به من حســن الأخلاق وســمو الأعراق، وانبســاط الصلات، واتساع المنافع، وإثمار البلاغ الذي ملكت به القلوب ، وهدت بحكمتها النفوس إلى علام الغيوب.

فهنيئا لها رحمها الله بما قدمت يدها، واكتسبه سعيها، واحتسبه بلاغها الذي أخلصت فيه لربها، وصدقت به رسالة نبيها ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ووفت فيه لثوابت ملتها، واختيارات أمتها، الذي ســينزلها إن شــاء الله تعالى منزلة الكمال في العطاء، ويبوئها مرتبة الإنعام بحســن الجزاء: اســتراحة، وســكينة، واتســاعا، وأمنا، وتنعما، وتقدما، والتذاذا بما يخص الله به أمثالها من الخيار، الذين أخذهم ليرحمهم،

وانتقاهم ليكرمهم، وزورهم ليوسع مدخلهم، وينعمهم في لذائذ الجنان التي لا يخطر نوع نعيمها على بال إنس ولا خاطر جان.

وعزاؤنا الذي يهون علينا هذا الأخذ الغالب، ويخفف على نفوسنا وطأة هذا العارض القاهر السالب؛ أنها كانت في نوع صبرها، الجامع لمعاني شوقها، وشفقتها، وزهادتها، وترقبها للقاء خالقها؛ على معنى قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: " الصبر على أربع شعب: على الشوق، والشفق، والزهادة، والترقب؛ فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات. ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات؛ ومن ارتقب الموت تسارع إلى الخيرات".

وأجمل ما نذكر به أسرة الفقيدة العزيزة، وننصح به القرابة المهتدية الرشيدة، قول الحكيم مخاطبا ربه عز وجل بما يدل على استسلامه لفعله فيه: إن كنت إنما ابتليتني لتعرف صبرى، فأفرغ علي صبرا يبلغني رضاك عني، وإن كنت إنما ابتليتني لتثيبني وتأجرني وتجعل بلاءك لي سببا إلى رحمتك بي، فمن من عبادك أعظم نعمة ومنة مننت بها علي، إذ رأيتني لاختبارك لها أهلا، فلك الحمد على كل حال، فأنت أهل كل خير وولي كل نعمة..".

و ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

وكتب الفقير إلى الله تعالى

إدريس ابن الضاوية

العرائش المحروسة في 17 صفر 1446

22 غشت 2024